مجلة العلوم الانسانية الدولية، ١٤٣٢/٢٠١١ هـ.ق، العدد ١٨ (٤) ١٢٣-١٣٨

مُقاربات فكريّة حول الإنسان الكامل و دوره في بناء الذّات عند أمين الرِّيحاني في المدينة العظمى

مريم هاشمي[١]

تاريخ الوصول: ١٤٣١/٦/١٦ تاريخ القبول: ١٤٣٢/٢/٢٥

ترغب البشرية في العيش في مجتمع مثاليّ و نموذجيّ، وكلّ الشّعوب تسعى بشكل عامّ في سبيل إنشاء مجتمع صالح جديد. و قد قدّمت المذاهب الفكريّة بدورها سبلاً متنوعةً لإقامة مثل هذا المجتمع و طرحت لذلك مناهج مختلفة محاولة أن تحقّق للإنسانيَّة حُلمها القديم، إذ يسعى الفيلسوف بطُرُق فكريَّة – قد تكون حالمة – إلى أن يُوصِل الإنسانيّة إلى السّعادة من خلال بناء «مجتمع فاضل» و«خَيِّر».

أمين الرِّيحاني (١٨٧٦– ١٩٤٠) و هو صاحب هذا الفكر «اليوتوبي» ينظر إلى النّاس من خلال المجتمع الذي يعيش في عصره كي يقوم بالإصلاح الكلّي في جوانب الحياة الإقتصاديّة، و الإجتماعيّة، و السياسيّة، والأدبيّة. فتولّدت في ذهنه فكرة [المدينة العُظمى]، متأثرة بفكرة [الجمهورية] عند أفلاطون (٤٢٨ ق.م) و [المدينة الفاضلة] عند الفارابي (٢٥٧–٣٣٩ / ٨٧٠– ٩٥٠م) ولكن ليس بكلّ أفكارها و مفاهيمها، إذ أنّ للرِّيحاني شخصيّته المستقلة عن أفلاطون و الفارابي.

و ساعتمدُ في هذه الدّراسة على منهجين، هما: المنهج الوصفيّ، نلاحق من خلاله أفكار الرِّيحاني التي تنصبّ في مقاربات فكرية للإنسان الكامل، و المنهج المقارن لتبيان ما يميّز الريحاني بين القوّة الجسدية و القوة العقلية و القوّة الروحية عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى.

الكلمات الرئيسية: الإنسان الكامل، المدينة العظمى، معرفة الله، أمين الريحاني.

١. دكتوراه في اللغة العربية وآدابها، (الجامعة الإسلامية في لبنان) الأستاذة المساعدة في جامعة الزهراء (س)، طهران، ايران.(mhashemi27@hotmail.com)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

المقدّمة

كان أمين الرِّيحاني (١٨٧٦-١٩٤٠) رائداً من رواد الفكر «اليوتوبى»، و قد كان يدعو إلى التحرّر من التعنّت و التخلّف و الجمود، و يسعى لدفع الشرق من قعر الإنحطاط و الإنحدار إلى رابية التقدّم و النجاح. و ليس من المبالغة إن قلنا أنّ الرِّيحاني كان أحد أبرز روّاد النهضة الحديثة في لبنان، بل و أبرزهم على الإطلاق، إذ عاش إبّان واحدة من أخصب المراحل في تاريخ لبنان؛ و ساهم بدوركبير في التمهيد لنشوء دولة حديثة (المدينة العظمى) و المجتمع الحديث، و ذلك ليس في لبنان وحده، و إنّما في سائر الأقطار العربيّة. و في هذا الإطار تكمن أهمية الرِّيحاني، حيث أنه الدّاعي الأوّل للمفاهيم الحديثة على صعيد المسائل الإجتماعيّة و التربويّة. وكلّ ذلك من خلال المبادئ التي طرحها و الأفكار التي بلورها.

تناولت المؤلفات التي صدرت عن الريحاني حتى اليوم وجوهاً هامّة و أساسية لصاحب [المدينة العظمى]، بعضها عالج حياته و آثاره (عبير جادري) وبعضها عالج الفنون الأدبية (معصومة نعمتي) وبعضها الآخر عالج المنحى الوطني و ذلك في مقالة [محاربة الحرب و المحافظة على الصلح في آثار الريحاني] للدكتورة كبرى روشنفكر؛ ومن المؤلفين الذين عولوا على فكر الريحاني الفلسفي هو الدكتور أمين ألبرت الريحاني في نتاج [فيلسوف الفريكة]، و لكن هذه الدراسة قد تكون مختلفة عن سواها في غير منحى. إذ حاولت أن تدرس الرِّيحاني في كليّة فكرية متأثرة بالفلاسفة الغربيين و الإسلاميين في مجال إنشاء المدينة المثالية و[الإنسان المتفوق] الذي سمّيتهُ في دراستي [الإنسان الكامل]، إذ اهتمّ الرِّيحاني ببناء شخصيّة الإنسان الكامل و دوره في بناء الذات في المدينة العُظمى و أحسّ مدى إمكانياته و عمق فعله الذي يَكتفي بثروته الباطنيّة و يستغني عن الغير. ذلك الإنسان الذي اقتبس فكره من نيتشه، وقد ترقّت فيه القوى الحيويّة كلّها، أي القوى الحيوانيّة، و البشريّة، و الإلهيّة إلى منتهى الدرجات.

تتضمّن هذه الدراسة إضاءات على ما طرحه الرِّيحاني حول مرتكزات صورة الإنسان الكامل و دوره في بناء الذات في المدينة العظمى، بوصفه أديباً ذو أبعاد مختلفة (أدبيّة، فلسفيّة، اجتماعيّة و فكريّة) و صاحب رؤية كونيّة و إنسانيّة يتفرّد بها عن أقرانه للوصول الى المجتمع النموذجي، و توخياً للسهولة و طلباً للفائدة، قسّمنا الدراسة إلى ثلاثة محاور رئيسة. ناقشنا في المحور الأوّل صورة الإنسان الكامل في المدينة العظمى، و المزايا الإنسانية و ما يتعلّق بالإنسان الكامل في المدينة العظمى و معرفة الله في العزلة، أمّا في المحور الثاني بيّنا فيه بناء ذات الإنسان الكامل. و أمّا المحورالثالث فقد خصّصناه للسعادة الحقيقية و ما يحتويها من الأخلاق و تهذيبها في المدينة العظمى، عَرضنَا في هذه المقالة كيفيّة تكوّن الأخلاق عند الإنسان الكامل، و دَوْر بعض الفلسفات و أثرها في تهذيب الأخلاق، مشيرين إلى اتّخاذ الرِّيحاني المذهب الرِّواقي نموذجاً للإنسان الكامل، إذ أنّه يتضمّن الأفكار التي يؤمن بها الرِّيحاني في تكامل الجوانب الروحية و العقلية في نَظرَتِهِ إلى الحياة. و قد تُوِّجَت المقالة بنتيجة بيّنا فيها الاستنتاجات التي توصّلت إليها الدراسة. و قد اعتمدنا في هذه المقالة على التحليل و الاستنباط من النصوص الفلسفيّة و الإجتماعيّة و التربوية للرِّيحاني، مشيرين إلى بعض أفكاره لتكامل صورة الإنسان الكامل و بيان المؤثِّرات التي لا بدّ أن تكون لديه.

أوّلاً: صورة الإنسان الكامل في المدينة العُظمى

١- الإنسان الكامل المتمثّل في رجل المستقبل في المدينة العُظمى

اهتمّ أمين الرِّيحاني (١) ببناء شخصيّة الإنسان الكامل في المدينة العُظمى و أحسّ مدى إمكانياته و عمق فعله الذي

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

يَكتفي بثروته الباطنيّة و يستغني عن الغير. ذلك الإنسان الذي اقتبس فكره من نيتشه (٢)، إنسان استثمر لديه كلّ المذاهب في أقصى حدودها الممكنة. إذ يبشّر بالسُّوبرمان النيتشويّ قائلاً:«و قد يأتي يوم يشاهد فيه أبناء الأرض، رجل المستقبل العظيم و قد ترقّت فيه القوى الحيويّة كلّها، أي القوى الحيوانيّة، و البشريّة، و الإلهيّة إلى منتهى الدرجات. فالإنسان مركّب من هذه القوى كلّها و هي كامنة فيه إلى الأبد».(الرِّيحاني، ١٩٨٢، ١\٢١٢). وهذا ما أدّى به إلى تأييد الحلوليّة (٣) قائلاً:« إنّي أرى في كلّ ما حولي من الطبيعة شيئاً من الجوهر الإلهي الذي نسمّي مصدره الأصلي إلهاً أو خالقاً».(المصدر السابق، ٢\٩٥).

يرى الريحاني في آرائه عن الإنسان الكامل:«إن الحياة سُلَّم، أوّله الحيوان، و وسطه الإنسان، و آخره الملاك، فينبغي العناية بالحيوان والملاك فينا على السواء».(المصدر نفسه، ٢\٩٦). قد يتبادر للذّهن، أنّ هذه النظريّة متناقضة مع مترع الرِّيحاني الإشتراكي، إذ كيف يمكن التوفيق بين مبدأ يدعو إلى التَّساوي بين الناس و آخر يدعو إلى تفوّق بعضهم على الآخر ممّا يلغي مبدأ التَّساوي. غير أنّ المقصود بالتفوّق ليس التمييز بين الناس طبقياً أو عنصرياً أو دينياً، بل التفوّق المقصود هو التفوّق على الذات و ليس على الآخرين و بالتالي هي دعوة الإنسان المنهزم، و المَسحوق، و المنكسر إلى النهوض و التغلّب على ذاته.(الرِّيحاني، ١٩٨٧، ص ٣١٣). إذ يشدّد الرِّيحاني على أهمية التفوّق الفكريّ و الإبداعيّ في أبناء المدينة العُظمى، و هؤلاء الأبناء هم الشّعراء، و العلماء، الفنّانون و الصناعيّون، فهو لايميّز بين الفيلسوف و الشاعر، فلكل منهما دور في المدينة العُظمى، و لكنّه يجعل من المعيار الإبداعي مجالاً أرحب لأصحاب هذه الإبداعات في مراتب السلطة.(المصدر السابق،١٩٨٧، ص ٣١٤).

يعتقد الرِّيحاني أن الإنسان الكامل في المدينة العُظمى يجب أن يعتني على السّواء في تربية وترقية قواه الجسديّة، العقليّة و الرّوحيّة كلّها و يأتي بمقارنة النقص في التّربية، حتّى في مشاهير الرجال.(الرِّيحاني، ١٩٨٢، ١\٢١٧) و يمكن لنا تقسيمهم إلى صنفين: صنفٌ يتميّزون بالقوى العقليّة و منهم: الفيسلوف سبنسر(٤)، ابن رشد(٥)، أبو العلاء المعرّي (٦)، باستور(٧). و صنف آخر يتميّزون بالقوى الرّوحيّة ومنهم:دانته(٨)، ابن فارض(٩)، البهاء زهير(١٠) و القدّيس أوغسطينوس (١١).

المقارنة	
الصنف الأول	الصنف الثاني
يتميّزون بـــ(القوّة العقليّة)، و هي قوة الادراك الراقية	يتميزون بـــ(القوّةالرّوحيّة)، و هي قوة الرؤية و الكشف
الفيلسوف سبنسر= ابن رشد = أبو العلاء = العالم باستور	دانته = ابن فارض = البهاء زهير= القديس أوغسطينوس

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

يَتَّضِحُ من خلال المقارنة أن أصحاب الصنف الأوّل يتميّزون بالقوّة العقليّة و لكنهم يفتقرون إلى القوّة الرّوحيّة وهي قوّة الرؤية و الكشف، كما أن أصحاب الصنف الثّاني يتميّزون بالقوّة الرّوحية، و هي قوة عظيمة إلا أنّهم يفتقرون إلى القوّة العقلية المكمّلة للقوة الرّوحية. و يعتقد الرِّيحاني برجل المستقبل الكامل، قائلاً:«سيكوّن الله إنساناً جديداً كاملاً من الطينتين (العقل و الرّوح) النصفين، و هو على كلّ شيء قدير».(المصدر السابق، ٢١٨/١).

٢- المزايا الإنسانيّة عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى

الإنسان الكامل في المدينة العظمى هو من تجرّد من الأحقاد و الميول البشريّة، و مدين بحب الإنسانيّة جمعاء، فغفر لمن أساء إليه و أحب مبغضيه. هو ذلك الكائن البشري الذي صفت نفسه و أشرفت على الحقائق الكونية، فنبذ العصبيات، واحتقر العنصريات، وكره الفرقة، و ألف التقارب، و التعاون، و الإتحاد. هو من سعى لخير البشريّة جمعاء، فأغاث الملهوف، و نصر المظلوم و أحبّ البائس الشريد. و آمن بالحريّة، يرتع في نعيمها و لا يأنف أن يشاركه سواه في هذا النعيم. هو من كانت نفسه تفيض بالحقائق الأزلية جميعاً، فيأنس إليه المفكّر الحرّ، و طالب معرفة، و يحنو على البائس المظلوم فيرعاه بعطفه و حنانه لأنه أخوه في الإنسانيّة. (المصدر السابق،١٩٨٢، ٢١٥/١) تلك هي أبرز العناصر الإنسانيّة التي يجب أن تتوفّر في الإنسان الكامل في المدينة، لتجعله قادراً على فهم ذاته الإنسانيّة، فيصبح قادراً على فهم سواه.

يؤكّد الرِّيحاني على أنّ الإنسان الكامل في المدينة يعيش مستقيماً صادقاً مسالماً مع ذويه و يرشده في القضايا التالية: (المصدر نفسه،٣٨/١).

- ألاّ ينصح أحداً طالما فكرته وليدة فكرة زائلة، لا وليدة حقيقة دائمة.
- ألاّ ينضمّ إلى حزب من الأحزاب، أو طائفة من الطوائف، أو جمعية من الجمعيات مهما كانت صبغاتها.
- ألاّ يساعد أحداً لا يعمل في مساعدة نفسه.
- إذا كان فيه ما يلهم النّاس إلى الخير، عليه أن يظهره للآخرين بالمثل و الإشارة و اللطف، لا بالإنذار والوعيد و التأمر.

لقد كان الرِّيحاني مؤمناً بحقّ الإنسان في المدينة العظمى في الخير و السّعادة،كما أنّه كان مؤمناً أنّ الإنسان جزء من المجتمع الإنساني الفاضل، و هو ككلّ شخص آخر يعتبر صورة لهذا المجتمع في بؤسه و هنائه، في رفاهيّته و شقائه. على هذا فقد كان إيمانه أن النّاس في المدينة العظمى من طينةٍ واحدةٍ مهما تفاوتت مراكزهم الإجتماعيّة، فهم إخوان في الإنسانيّة. قائلاً:«مهما جزل خيرك، و مهما تفاقم شرّك. لا أزال أخاك. مهما علّيت في مدارج الحياة، و مهما تسفّلت لا أزال أخلص لك و أؤمن بك و أحبّك. أفلست عالماً بما فيك، بما يأسرك، و بما يناديك؟ تعال تَطَلَّع إلى العلياء».(المصدر نفسه،٨٩/٢).

نستوضحُ من هذا النصّ أنّ الرِّيحاني كان طويل الأمل، لا يعـــرف اليأس و القنوط، وكان ينظـــر إلى مستقبل المدينة العظمى متنبئاً بالأحداث العادلة التي يـــرى فيها خير البشـــريّة. و سعى أن يسود السلام أرجاء الكرة الأرضية، و أن تصفو قلوب البشـــر، فيعطف الإنسان على أخيه الإنسان. و آمن بالسلام الإنساني و بالإخاء البشري بين أبناء المدينة. فهو لايتعصّب لقومٍ على قومٍ، و لا يحبّ أناساً و يكره آخرين، بل كان إنسانياً في قوميّته العربيّة. إذ يبيّن عقيدته قائلاً: «إن لشعبي موطناً في لبنان و أثراً في اليمن. و من الفريكة أسير شرقاً في خط مستقيم إلى بغداد، إلى

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

طهران، أستقي من الموارد كلّها، و أسقي ما أستطعت أرضها. إنّ لي و في مذهبي خاصيّتين، أساس الأولى الحبّ، و أســـاس الثانية الفكـــر المطلق. مطيّتي الفكر، و محجّتي اليقين القائم على البرهان و الدليل، و يهمّني من الحيـــاة كلّما يفيد الإنسان في جسده، و علقه، وروحه» (المصدر نفسه،٢/٥٠).

يتّضحُ من هذا النصّ شموليّة أفكار الرِّيحاني في كتاباته، منطلقاً من ركائز الحبّ و الفكر و اليقين ليخاطب العالم بأسره، العربي و الغربي، ليبيّن أنّ جوهر النفس الإنسانيّة الخالدة واحد في أفراد الأسرة البشريّة جميعهم. إذ يبلّغ إلى ذرى الشعور الإنساني الخالد، قائلاً: «إني في تلك الذرى زهرة من أزهار الحبّ الدائم العميم. الذي فيه تتلاشى العصبيات الدينية و القومية كلّها. إني في تلك الذرى بذرة من بذور الخير الإنساني الأكبر الذي فيه تضمحل الضغائن، و تزول الخصومات، في مشارق الأرض و مغاربها، و بين الأمم جمعاء». (المصدر نفسه،١/١٩٦).

نستنتج من هذا النّص، الروح الإنسانيّة التي أشرقت عند الرِّيحاني في المدينة العظمى و انفتحت على عوالم رحبة، و انطلقت في الآفاق الحرّة لتتّحد مع كلّ نفس إنسانيّة يهمّها الخير الإنساني، و التعاون الإنساني و المحبة الروحيّة و الأخلاق الفاضلة. لا عصبيّة و لا مذهبيّة بل حبّ أبدي مرتبط بأسباب الوجود.

٣- خصائص الإنسان الكامل في المدينة العُظمى

أمّا الخصائص التي لابدّ أن تتوفّر في شخصيّة الإنسان الكامل في المدينة العُظمى هي أن تكتمل فيه جوانب الحياة كلّها و تتساوى فيه صحةً و فهماً و رقيّاً. و من هذه الجوانب (المصدر نفسه، ١/٢٢٠-٢٢١):

١) يَتَمَكّن من الجمع بين محاسن الجسد، و العقل، و الرّوح.

٢) يَتَمَكّن من الجمع بين جمال الصحة، و جمال الحكمة، و جمال الشعر.

٣) أن يشرك الإنسان قلبه، و عقله، و روحه، في كلّ عمل يعمله.

٤) يُروّض نفسه على الشدائد كما لو كانت من ضروريات الحياة.

٥) لا يُعوّل في أموره على أحد من الناس.

٦) يحترم في البشر العلم و الذكاء و الصلح.

٧) لا يحابي في سبيل الحقّ أحداً.

٨) يعيش لنفسه و لربّه و للإنسانية في وقت واحد.

يوضّح الرِّيحاني كلامه عن الإنسان الكامل قائلاً: «إنّ حياة مثل هذا الرجل لكنزٌ من كنوز الدنيا». كما أنه يعتقد أنّ الإنسان الكامل هو «وطنيّ صادق، غيور على الأمّة ومصالحها، مصلح محبّ للبشر» (الرِّيحاني، ١/٢٢٠-٢٢١). و إنّ هذا الرجل يشبع الشَّعب الجائع، و يحرّر الشعوب المَدُوسَة المظلومة، و يساوي بين الفقير و الغني. و يحطّم الشركات الإحتكاريّة، و يعزّز تجارة البلاد، و بجانب كلّ هذه الفلسفة التجاريّة، يضع أثراً للكمالات الرّوحانيّة و تهذيب النّفس و ترقية الشعور، لأنّ الحياة الراقية الساميّة لا تزهرُ و لا تثمرُ إذا لم يكن لها من القلب و الضمير دعائم قوية.

فيَتَّضِحُ ممّا مضى أنّ الرِّيحاني يرسم الشخصيّة المثاليّة للإنسان الكامل في المدينة العُظمى، إذ سمّاه بـــ[رجل الشَّعب]، و وجوده ضروريٌ لتحيا المدينة بأبنائها و تعمّ مبادئ المساواة و العدل و تزدهر البلاد بالتجارة و مقوّمات الحياة. و هذه الشخصيّة لا بدّ فيها من صفات عديدة، ذكرها الرِّيحاني و هي أثنتا عشرة صفة. و إذا وُجد هذا الشخص الكامل بصفاته يكون كنزاً و نموذجاً في المدينة العُظمى.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

٤- الإنسانيّة الكاملة و معرفة الله في العزلة

يشعر الإنسان الذي يعيش في ضيق أنّه غريب، لا بل هو أغرب الغرباء لأنّه غريب في وطنه كما يقول الأديب أبوحيان التّوحيدي (١٢) في كتابه [الإشارات الإلهيّة]، فهو مضطرّ إمّا إلى الإستسلام للجماعة التي يعيش معها، فإمّا يصبح مثلهم أو يضطرّ إلى العزلة، و تكون العزلة هي الجواب.(ألكسي، ١٩٩٨، ص ١٧٧) و العزلة ليست فقط خروجاً على الزمان و الجغرافيا، بل هي خروج فكري من التاريخ و الجغرافيا. و قد لا تكون العزلة فردية بل عزلة جماعية، ترفض وتعبّر عن رفضها بالطريقة التي تراها مناسبة.

و يشير الرّيحاني إلى أنّ الإنسان مهما تعرّض للمرض و الجنون، و التوحش يجب ألاّ يفقد الرجاء. و أن النفس في كلّ إنسان تصحو و لو مرة واحدة من سباتها في سياحتها الدنيوية. و تنهض من غفلتها فتجيء و لو بعمل واحد شريف لوجه الله. (الرّيحاني، ١٩٨٢، ١\١٧٦) و يعتبر أن النخوة، و المعروف، و الإحسان لا تزيل عن وجه الحياة شيئاً من قطوبه و عبوسه. تنهض النفس من ظلماتها، من تحت أثقالها المادّية،من بين أغلالها الإجتماعيّة، من تحت أهوائها و شهواتها، و أغراضها الذميمة، لتذكّر الإنسان أنها لم تزل حية تمارس الحب و التساهل و الحنان، كما أنها لم تزل حية و تدرك معنى الحق، و العدل، و الحريّة، و أنها تستطيع أن تتسامى إلى ما فوق الشرف المتعارف بين النّاس و إلى ما فوق الشرائع و النظم، و أنه لابدّ لكلّ امرئ من ساعة يظهر فيها بمظهر الفضيلة المجردة الصادقة، فيخضع للنفس الأمارّة بالخير لا بالسوء و تتجلّى فيه محاسنها الجليلة. لذا يعتبر الرّيحاني أن المرض، و الجنون، و حسنات النّفس، أو يقظاتها تنتاب كلّ إنسان على الإطلاق، و بدرجات متفاوتة. و من وجهة نظره هذه، أن الكلّ متساوون. و يعتقد أن كلّ إنسان مريض بنوع ما و يفتش عن وسيلة يلهو بها، و يسكّن بها آلامه و يضمّد جروح صبره و رجائه. و يعود ليسئل ما هي هذه الآلام؟ أهي روحانيّة أم جسمانيّة؟ فالطبيب يرى أنها جسمانيّة و الكاهن يرى أنّها روحانيّة و الحقيقة هنا تكون أقرب إلى جانب الكاهن منها إلى جانب الطبيب، قائلاً: «آلامنا روحيّة أكثر منها جسدية».(المصدر السابق، ١/١٧٧). و أنّ الجسد لا يمرض من العمل و أعضاؤه تزداد قوة، و مرونة، و نشاطاً بالممارسة و التمرين و هذا ناموس طبيعي، و مصدر الآلام و الأوجاع، ناتج عن ألم أصلي، أساسي و روحي؛ لأنّ الروح حينما تئنّ و تتأوّه، صدى أنينها يظهر في جوارح الإنسان و حواسه. و تتألم هذه الروح من الضغط عليها، من إهمال الإنسان شؤونها و اهتضامه حقوقها. الروح تتأوّه من قيود السلطة كما تتأوه من قيود العبودية؛ إذن الرئيس و المرؤوس سواء، الظالم و المظلوم يشكوان من مرض واحد. (المصدر نفسه، ١/١٧٨) حيث أنّه يعطي الدليل على دعوى أنّ آلامنا روحيّة، مبيّناً أنّ العمل لا يؤلم الجسد بل يزيده قوة، إذن الألم الإنساني يكمنُ في روحه و يظهرُ على جوارحه، و بهذا الألم يتساوى جميع النّاس سواء كانوا محكومين أو حاكمين.

يلجأ الرّيحاني كأبي العلاء إلى «العزلة المطلقة المختارة كعزلة امرسون (١٣) و ثورو (١٤)» (جبر، ،لا.تا، ص ٤٦) و ذلك في قريته الفريكة، هارباً من الحضارة، و متاعبها، و شغفاً بالطّبيعة، و جمالها، و حباً للتأمّل و لذّاته، و تقرّباً إلى الله و بركاته؛ بينما لا يشاء أن تفرض عليه العزلة فرضاً، فتشعره أنه أسيرها، فكان إذا اشتدّت عليه الأزمات العصبية، تضيق أنفاسه و ينقم إلى عزلةٍ تُورثُهُ الخمول. و يُقسِّم الرّيحاني العزلة على أنواع باعتبار ما تنتجه من آثار: إمّا داءٌ، و إمّا دواءٌ، و إمّا غذاءٌ.

نلاحظ من خلال إستقرائنا من كلمة الرّيحاني أن نفسه من الأنفس الكبيرة التي قلّما تنام، إذ يقول: «و مِن الأنفس السّامية الهادئة المتفردة ينبثق نور الحب، و نور الحكمة، و

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

نور الحقيقة، و في الأنفس السّامية المتفردة الهادئة ينابيع الجمال، جمال الفنون و جمال الروح و جمال الحياة السعيدة و إلى الأنفس المتفردة السّامية الهادئة تعود حسنات التمدن الحديث لترينا فيها أسبابها». (المصدر السابق، ١\١٨١).

و يذكر الرِّيحاني تقسيماً آخر للعزلة على أساس الشخصيّة، و هي: عزلة الفيلسوف، و عزلة الشاعر، و عزلة الأنبياء (المصدر نفسه، ١٧٩/١). و يوضِّحُ أنّ الميل إلى الوحدة، و الإعتزال ينشأ في النفس، و أنّ النفس تطلب المعرفة، فكذلك تبتغي شيئاً من العزلة تتغذى أثنائها بالمعرفة؛ و أنّ المرء مهما درس، و طالع، و تعمّق في العلوم، فتهذيبه يظلّ ناقصاً إذا كان لا يعرف إلاّ مسقط رأسه أو عاصمة بلاده. و إذا كان في السياحة تتمّة التّهذيب، ففي العزلة تتمّة السّياحة. و على المرء أن يسقي نفسه من ماء الفكر الذي يتقطّر و يتكدّر في العزلة (المصدر نفسه،١٨٠/١). و يعتقد أنّ جوّ العزلة ينفع إذا أَخَذَ منها كلّ بقدر ما تطلبه نفسه، فمن نفس متجمّدة لا تطيق العزلة أكثر من أسبوع، و هناك نفس متوقّدة لا ترضى بأقل من سنة أو أكثر و بينهما تتفاوت المدد بقدر ما تتفاوت العقول؛ فمَن جَرَّبَ العزلة بحكمة و اعتدال، انتفع بها عقلياً، و جسدياً، و روحياً. (المصدر نفسه،١٨١/١).

نَستَشِفُّ ممّا تقدّم أنّ الرِّيحاني يُبرز أهميّة معرفة الربّ و معرفة النفس. و يبيّن الوسيلة لسلوك هذا الطريق في أدبيّاتِهِ و هي العزلة المنتجة المغذّية، العزلة الإيجابية لا العزلة السلبية. العزلة التي تبعث في نفس الإنسان الإستقرار و السكينة و الطمأنينة؛ و تستنير بنور الفكر و التأمّل و التّحليق في سُلَّمِ الكمالات.

ثانياً: الحياة الكاملة في المدينة العظمى

١- بناء الذات عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى

يشرح الرِّيحاني كلامه أن هناء الحياة في المدينة لا تقوم إلّا بثلاثة مقومات و هي: صحّة الجسد، صحّة العقل و صحّة الرّوح. (المصدر نفسه،٣٠/٢).

١-١- الجانب الأوَّل: الصحّة الجسدية

يرى الرِّيحاني أن الجسد و المحافظة على صحّته و عافيته يكمن في رعاية النقاط التالية (المصدر نفسه، ٢\٣٢):

١) لا يعوّد الإنسان نفسه الأدوية و المقوّيات.
٢) لا يَستَرسِل في الملذّات، و لا يطلق العنان للشّهوات.
٣) ينام مبكّراً و يقوم مبكّراً.
٤) يعوّد نفسه التنفّس تنفّساً علمياً بضع دقائق كلّ يوم. و يملأ رئتيه من منخريه و يفرغهما من فمه.
٥) لا يأكل كلّ ما تشتهي نفسه ليشبع، و ليضع هذه القاعدة نصب عينيه أنّه عند ما ينهض من المائدة، لايشعر بأن له معدة و يذكر الحديث القائل:«المعدة بيت الدّاء» و يعمل به.
٦) يستحمّ بالماء البارد صباح كلّ يوم و يذكر و هو يتنشّف أن جسده هيكل مقدّس للّه، فيحفظه سليماً طاهراً نقيّاً.
٧) يمشي إلى عمله، أو يمشي نصف ساعة على الأقل كلّ يوم، على أن يدرك أنّه جزء صحيح سليم من الكون و لابأس أن يصفّرَ، فيقّلد في تغريده طرب الطيور للفجر و للشّمس.
٨) لا يتذمّر و لا يحسد لأنّ التذمّر إذا كان الإنسان مريضاً يزيد في مرضه، و إذا كان فقيراً يزيد فقره و يبعد عنه الأصحاب. و الحسد يذهب بكلّ جمال بشري، جمال الروح و العقل و الوجه أيضاً.

و أخيراً يخلص الرِّيحاني إلى أنّ هذه الوصايا الصحيّة تُغني الإنسان الكامل عن الطبيب و هي الركن الأول للسعادة. و من الجدير بالذكر أنّ هذه الوصايا تكشفُ سعة اطّلاع الرِّيحاني على عقد النفس الإنسانية و أمراضها الجسدية و إعطاء الحلول الناجعة، فهي وَصفة أدبيّة روحيّة طبيّة لكلّ إنسان على وجه الكرة الأرضية.

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]
[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

١-٢- الجانب الثّاني: الصحّة العقلية

يذكر الرِّيحاني أنّ صحّة العقل و ما يجيء معها من القوّة و أصالة الرأي و الحكمة، قوامها المطالعة و التفكير، إذ يرى أنّ صحّة العقل تكمن في رعاية النقاط التالية (المصدرنفسه، ٢\٣٢-٣٣):

١) يطالع الإنسان و لو ساعة كلّ يوم ما يلذّ و يفيد من الكتب و المجلات.
٢) لا يذهب وقته سُدى.
٣) يتجنّب الروايات المثيرة للأعصاب و الشهوات.
٤) لا ينظر إلى الحياة و مشاكلها من وجهة نظره الخاصّة فقط، بل ينظر إليها من وجهة نظر جاره و خصمه أيضاً.
٥) يكون منصفاً في أحكامه، مخلصاً في آرائه، صادقاً في أقواله، و عادلاً حتّى في نفسه.
٦) لا يدع الصغائر تزعجُهُ لأن تكرارها تضعف المناعة النفسية عند الإنسان، و لا تقوى على مقاومة الكبائر المفجعة.
٧) يدّخر من قواه العقلية و الروحيّة لأيّام المحن و الكروب.
٨) يخلّ بنفسه ساعة أو نصف ساعة كلّ يوم، فيستريح عقلياً و جسدياً. و إذا كان مضطرب البال، أو مكتئباً، أو غاضباً فهذه الساعة تعيد إليه السكينة و الرضا.
٩) يذكر أن في مضمار الحياة تتبارى العقول على الدوام، و أنّ الفوز للعقل القويّ المجرّب، السريع في التفكير، الدقيق في التحليل، فيحيط علماً بالأمور، و ينظر دائماً إلى ماوراء الظاهر منها.

١-٣- الجانب الثّالث: الصحّة الروحيّة

يشير الرِّيحاني في كلامه إلى أنّ الركن الأوّل للصحّة الروحيّة هو الإيمان بالله. و شرط هذا الإيمان أن يتمثّل في الإنسان الكامل، و فيما يربطه بالحياة و بالكون، أي في الشوق، و الحبّ و الأمل. و أنّ الصحّة الروحيّة تكمن في النقاط التّالية (المصدرنفسه، ٢\٣٣-٣٤).

١) يعتبر الإنسان نفسه جزءً من الكون الذي كلّه نور، و صحّة، و قوة، و يقول: «اللهمّ زدني نوراً و صحّة و قوة». و هذا ما نجدهُ في مناجاة أمير المؤمنين: [و أَنِرْ أبصارَ قلوبنا بضِياء نظرِها إليك، حتّى تَخْرِقَ أبصارُ القلوبِ حُجُبَ النور فتَصلَ إلى مَعدن العظمةِ]. (قمي، ٢٠٠٧، ص ٢٤٨).
٢) يعتبر الإنسان نفسه جزءً من المجتمع الإنساني الذي ينبغي أن يكون صحيحاً سليماً. و يقول:«سأبدا اللهمّ بنفسي» فتُصْلَحُ نفس جاره.كما جاء في الذكر الحكيم: «وَ أَما مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّه وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى فَإِنَّ الجَنَّةَ هِيَ الْمأْوَى»[النازعات:٤٠-٤١]
٣) يعتبر الإنسان نفسه جزءً من أسرة تُقاسمها تبعة الحياة أو تدير شؤونها، و يقول:«عونك اللهمّ في كلّ ما فيه حب، و تساهل، و حكمة».
٤) يجعل الإنسان في مثل هذا التأمّل الروحي الصلة بينه و بين الله و صَلاتُهُ اليومية.
٥) لا يفوت الإنسان أن الطمأنينة و السكينة، هما من أركان الصحّة الروحيّة. فيكون هادئ البال، صلب العود، ثابت الجأش في الخطوب.
٦) يذكر دائماً مهما كان ألمه فهناك ألم أشدّ منه و مهما كان بلاؤه فهناك بلاء أعظم.

نَستَبِينُ من خلال هذه الوصايا أمرين: الأول هو إيمان الرِّيحاني بالله و الثاني النزعة الصوفية في أدبيّاتهِ. فهو يهتمّ بالتأمّل و التفكّر و اقتباس النور. و الجدير ذكره أنّ مفاهيم التفكّر و التأمّل و التعمّق في مَكامِنِ الكَون و الآيات الآفاقية و الأنفسيه، هي من الأمور التي اهتمّ بها القرآن الكريم، من ذلك قوله: (سَنُرِيهِمْ ءَايَتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَ فِي أَنفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ)[فصّلت:٥٣]

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

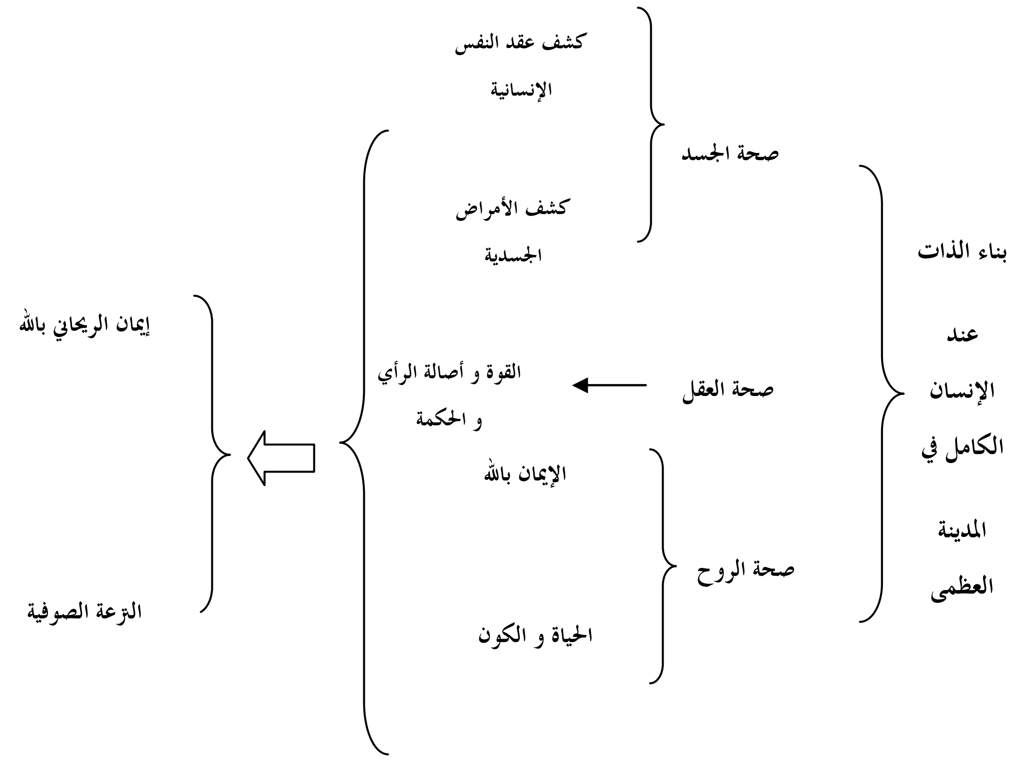

ثالثاً: السّعادة الحقيقيّة في المدينة العظمى

أ- الأخلاق و تهذيبها عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى

الأخلاق وعي نفسيّ، اجتماعيّ قيميّ، يشمل الوقائع اللازمة في كلّ مجتمع ممّا يتّصل بالسلوك، و قد ظهرت هذه الوقائع نتيجة الحياة الإجتماعية ظهوراً عفوياً.(مجموعة مؤلفين، ١٩٨٨، ص ٩٦٠) و أنّ في العالم العربي مجموعة من المثل و القيم، تواضع العرب عليها عبر تاريخهم الطويل حتّ صارت أعرافاً شاعت بين النّاس، و غدت إحساس الأمة المشترك. و كان الرِّيحاني شديد التمسّك بهذه المثل العربيّة كالإباء، و الدفاع عن الحقّ، و تمجيد البطولة، و إغاثة الملهوف، و الكرم، و العدل؛ فراح يعتزّ بمآثر العرب التي غدت تراثاً من الفضائل، و مكارم الأخلاق، بينما عجزت أمم الغرب جميعاً عن امتلاكه، فيعجب بهذه القيم، قائلاً: «أعجب لأمّة تجلس في أطمارها على الأرض، و تأكل التمر، و تشرب الماء العَكِر و هي تتحدّث عن الشمم و الإباءة، و في الصدق و الوفاء، و في الكرم و الشجاعة و الحريّة التي عندها الكنز الأكبر، هذه الصفات العربيّة، هي التي ساعدتني على تحمل المشقّات، و هي التي ربطت قلبي بقلب العرب بخيط من الوبر كان أشدّ القيود، فصرت للعرب الأخ المحب». (القوميات،لا تا، ص ٢٦٠) و يسأل الرِّيحاني ما هي الأخلاق عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى؟ ماهي أصولها و أسباب رقيّها؟ ما هي عوامل الفساد فيها؟ كيف تُصلَح إذا فسدت في الأمة؟ و يجيب عن السؤال أن الخُلقَ إطلاقاً لما يظهر من الفكر و النفس، و في القاموس الخلق هو الطبع و السجية و المروءة و العادة و الدين. (الرِّيحاني، ١٩٨٢، ١/٢٦٤).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

يعتقد الرِّيحاني أن الأخلاق السليمة السّامية المجيدة إنّما هي سياج كلّ الحقوق (الطبيعية، السياسية، الذّاتية) بل هي أهم أركان الرقيّ و العمران. إنّها لنور العدل في الملك و نور الإيمان في الدين، و نور الصدق في العلوم، و نور الحياة الحقّة. و أنّ مزايا النفس السّامية في المدينة العظمى لا تتطلّب كيلاً و لا قياساً، بل ليراها أبناء المدينة و يقدّرونها فهي مادّية روحيّة، و مصدر المادّة فيها لم يزل غامضاً كمصدر الروح. و يرى أن الأخلاق قوى كامنة في النفس تؤثر فيها الحوادث و الأشياء فتظهر عفواً لغرض أولي هو ارتياح النفس و اطمئنانها. و لا يطمح صاحبها بادئ بدء إلى معالي المجد أو الغنى أو السيادة. (المصدر السابق،٢٦٦/١).

أمّا أصول الأخلاق فهي في النفس الخالدة السّامية إلى استطلاع ماوراء الطّبيعة لإصلاح شؤون المدينة و لرفع شأن أبنائها و الجماعات فيها. و الأخلاق في نشوئها، و نموّها، و تنوّعها خاضعة مثل مظاهر الكون لأسباب خارجية طبيعية و اجتماعية. و لكن طيب شذاها لا يتغير على تنوع عوامل الرقيّ فيها. و مثال ذلك غصن ورد يُزرع نصفه في إقليم حار و نصفه الآخر في إقليم بارد لا يتغيّر في وردهما غير الحجم و اللون. (المصدر نفسه،٢٧١/١). و أنّ دعائم الأخلاق العالية في المدينة العُظمى هي ألزم ما يلزم في تكوين أخلاق أبنائه، هي الحريّة و الإستقلال الذي لا يمكن أن يبدّل إلى الطاعة، و الجهل، و مصلحة رؤساء الأديان. إذ أنّ هذه العقبة تبعد أبناء المدينة بعضهم عن بعض و تثير بعضهم ضد بعض فتتفكّك عناصر الأمة و تتقوّض أركان المدينة.(التطرّف و الإصلاح،لا تا، ص ٤٠).

نَستَبِينُ من كلّ ما مضى أن ينبوع السلوك الأخلاقي عند الإنسان الكامل ينبع من النفس أو الشعور، و يطلق على هذا الينبوع اسم الوجدان أو الضمير، أو الحسّ الأخلاقي، و صاحب المدينة يرى أن الضمير ينير في الإنسان كما تنير الكواكب و النجوم السماء؛ هذا الصوت النبيل يدعو إلى الخير و يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و حكم بين الخير و الشرّ، و الرّادع اليقظ، و النور الحيّ الذي به تتمثّل الأخلاق الطيّبة، و يحقّق إنسان تلك المدينة بإطاعته حالاً من البرّ والتقوى.

ب- دور الفلسفات «الإستقرائيّة» و«المثاليّة» و«العمليّة» في تهذيب الأخلاق عند الإنسان الكامل

يرى الرِّيحاني ثمّة فضلاً لبعض الفلسفات في تهذيب الأخلاق عند الإنسان الكامل، كالفلسفة الإستقرائية التي أحياها «ديكارت» (١٥) في فرنسا و «بيكن» في انكلترا، فَلَقَّنَتْ الأوروبي حكمة الشكّ و عوّدته أن يسأل «كيف و لماذا» في كلّ عقيدة و مذهب، و حبَّبَتْ إليه البحث العلمي و التمحيص، ثمّ الفلسفة المثالية التي غذّت عقله و نفسه. و الفلسفة الإنكليزية العمليّة (١٦) التي غذّت جسده فاشتدّ ساعده و صحّت عزيمته. و في هذه الفلسفات نرى المقام الأول في العمل إنّما هو للإرادة. فالإرادة إذا ضعفت في الإنسان، ضعفت معها فضائل النفس و العقل و الجسد. و الإرادة مثل كلّ الجوارح في الإنسان ينمّيها الترويض و تعزّزها الممارسة (الرِّيحاني، ١٩٨٢، ٢٧٤/١-٢٧٥).

يوضّح صاحب المدينة أنّ في كلّ الفلسفات القديمة و الحديثة ما وُجدتْ أصلحُ من فلسفة الرِّواقيين التي أنشاها زينون الكنعاني (١٧)، لأن فيها المنبّهات العقلية، و المقوّيات الروحيّة، التي تعلّم الإنسان الكامل، عظم الهمّة و الصبر على الشدائد. و تعلّمه أن ينظر إلى الأمور السارّة و المحزنة بعين صافية و قلب مطمئن، و تحبب إليه الفضيلة حباً بها لا حباً بجنّات تجري من تحتها الأنهار. (المصدر السابق، ١٩٨٢، ٢٨٤/١).

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

ج- مكانة الأخلاق من المذهب الفلسفي «الرِّواقي» في المدينة العظمى

نشرح هنا الأركان الأساسية التي تبنى عليها فلسفة الرِّواقيين التي أراد الرِّيحاني منها أن تكون قدوة لإنسان المدينة العظمى، أن يتمثّل بها في حياته العمليّة، من هذه الأركان (أمين، ١٩٧١، ص ١٩٨- ٢٠٣):

١- **الميول الطبيعيّة**: أوّل ما يبدأ به الرِّواقيون نظرهم في الأخلاق هو أن يبحثوا عن الميول الطبيعية، فيتسائلون عن ما هو موضوع النزعات الأولى للموجودات، أي الفطرة التي فطر الله الموجودات عليها؟ و هم يجيبون على هذا السؤال بأنّ الميول السابقة على الإرادة و الرويّة، و التي يشترك فيها الإنسان و الحيوان على نوعين: ميول تنزع إلى حفظ الفرد نفسه، و ميول تنزع إلى حفظ الجماعة التي ينتمي الفرد إليها.

٢- **الحياة الملائمة للطبيعة**: موافقة الطّبيعة عند الإنسان عبارة عن الحياة و فاقاً للعقل، و العقل هو الجزء الرئيسي فينا، و ينتج عن ذلك أنّ الحياة و فاقاً للطبيعة، هي الحياة وفاقاً للعقل، و هذا هو معنى العبارة المشهورة التي قالها [زينون الكنعاني]: «الحياة وفقاً للطبيعة» (المصدر السابق، ص ١٩٩).

٣- **موافقة العقل الصريح**: عرف الرِّواقيون الفضيلة بأنّها «العقل الصريح» أي العقل الشامل السليم الذي يظلّ دائماً متّسقاً مع نفسه، و ينتج عن العقل الصريح حياة متّسقة مع نفسها.

٤- **السّعادة بأيدي الإنسان**: طمح النّاس منذ القدم إلى السّعادة في الحياة، و فكّر الفلاسفة فيما إذا كان الإنسان يستطيع حقاً بمحض قواه و ملكاته أن ينال هذه السّعادة، فيبرأ من الشرور الداخلية كالخطأ، وزعزعة الإيمان، الأسف، الحزن و الجهل، و من الشرور الخارجية كالفقر، الرقّ، المرض و الأذى. و عالج الرِّواقيون هذه المشكلة، فانتهوا إلى حلّها حلاً عقليّاً و هو أنّ سعادة الإنسان لا تخضع للظروف التي تحيط به، و إنّما تتوقّف عند حالة في النفس للإرادة سلطانٌ عليها.

من خلال هذه اللُّمحة عن المذهب الرِّواقي، يتبيّن لنا أسباب اختيار الرِّيحاني لهذا المذهب كنموذج لإنسان المدينة، إذ أنّ هذا المذهب ينسجم مع أفكار الرِّيحاني في الرجوع إلى الطبيعة و إعمال الفكر و العقل، و الإهتمام بالفضيلة و الحياة الفاضلة و السّعادة الحقيقية التي تتوقّف على إرادة النفس، و أثر هذا المذهب في تهذيب الأخلاق.

استنتاجات البحث

تعتبر هذه الدراسة إطلالة على فكرة المدينة العظمى و ما يتعلّق بها من أفكار و مبادئ، و لا شكّ أن من يُطَالِعُ هذه المقالة يتّضح له الرؤى الرِّيحانية في بناء الذات عند الإنسان الكامل في المدينة العظمى، و شموليّة الرِّيحاني في كلّ قضيّة تحيطُ بالإنسان، عارضاً ذلك بذوق فنّي بعيداً عن الغموض، ممّا يُبعِدُ المتلقّي عن النصّ،كما نجده تارةً فيلسوفاً يعالج قضايا العقل و تارةً متصوِّفاً ينظر إلى الطبيعة بنظرة خاصّة و تارةً ثالثةً طبيباً نفسيّاً يعالج أمراض النفس و رابعةً أديباً بارعاً في عرض الأفكار و إثارة العواطف. بل إنّنا نجدهُ في بعض النصوص يَمْزِجُ ذلك كلّهِ في نصّ واحد فيكون متكامل الجوانب، عظيم التأثير، و ربّما يصل الأمر إلى أن يكون النصّ عبارة عن وصف المرض و علاجه في الوقت نفسه، مثل نصوص الإرادة و مبدأ الحب و نصّ التفاؤل. و يمكن لنا أن نعرض بعض الإنطِباعات و الإستنتاجات التي توصّلت إليها الدراسة على نقاط عدّة:

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

١- الرؤى الشموليّة عند الريّحاني لتصوير الإنسان الكامل و الحياة الكاملة في المدينة العظمى.
٢- اعتقاد الريحاني على أنّ الإنسان الكامل يجب أن يعتني على السّواء بتربية و ترقية قواه الجسدية، و العقلية، و الروحيّة كلّها.
٣- توفير العناصر الإنسانية تجعل الإنسان الكامل قادراً على فهم ذاته، فيصبح قادراً على فهم سواه.
٤- اهتمام صاحب المدينة العظمى بالنفس الإنسانيّة و معرفة الله و الأخلاق لبناء الذات عند الإنسان الكامل.
٥- الروح الإنسانية المشرقة عند الإنسان الكامل، تجعله يهتمّ بالخير الإنساني، و التعاون الإنساني، والمحبّة الروحيّة، و الأخلاق الفاضلة؛ لا عصبيّة و لا مذهبيّة بل حبّ أبدي مرتبطٌ بأسباب الوجود.
٦- سعة اطّلاع صاحب المدينة (الرّيحاني) على أغلب العلوم العقليّة، الفلسفيّة، الصوفيّة، الفكريّة، النفسيّة و الجسديّة، ممّا جعل نَظرَتَهُ إلى الإنسان و الحياة عميقةً.
٧- تسمية الشخصية المثالية للإنسان الكامل في المدينة العظمى بـــ [رجل الشعب].
٨- توظيف العلوم في أدبيّاتهِ لصالح الإنسان و المجتمع، مازجاً ذلك بأسلوبٍ أدبيٍّ بعيداً عن التكلّف و رَونَقِ الألفاظ، مهتمّاً بالمضمون أكثر من الشكل.

الهوامش

١-أمين الريحاني: (١٨٧٦-١٩٤٠) كاتب، و مصلح، و خطيب، و أديب، و مؤرخ لبناني. ولد في قرية الفريكة.كان من أدباء المهجر و سافر مع أبيه في صغره إلى نيويورك، من أهم مؤلفاته العربيّة و الإنكليزيّة: «أنتم الشعراء»، و«شذرات من عهد الصبا»، و «الريحانيات»، و «التطرف والإصلاح»، و «كتاب خالد»، و «القوميات»، و «مصير فلسطين»، و «زنبقة الغور»، و «وفاء الزمان»، و «وجوه شرقية غربية»، و «هتاف الأودية». (انظر: موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب و المسلمين، ٢٠٠٦، ص ١٠٧).

٢- نيتشه (فريدريك) Nietzsch(١٨٤٤-١٩٠٠): فيلسوف ألماني. أنكر البعث، و دعا إلى اطّراح العبادة منادياً بضرورة انصراف الإنسان إلى الإرتفاع بذاته حتى يبلغ مرتبة «الإنسان الأسمى» أو السّوبرمان. أشهر آثاره: «هكذا تكلّم زرادشت». (أنظر:معجم أعلام المورد، ص ٢٤٢).

٣- الحلولية: (وحدة الوجود): يمكن فهمه بمعنيين أساسيين: (أنظر: أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية،١٩٩٦، ٢\٩٣٣) ١- الله جل‌جلاله وحده حق، فالعالم ليس سوى مجموعة تجليّات أو فيوضات لا حقيقة لها دائمة و لا مادّة جوهريّة مميّزة. ٢- العالم وحده حقّ، فالله جل‌جلاله ليس سوى كل لما هو موجود. و الحلولية فلسفياً، إمّا توحد الله جل‌جلاله و الوجود في مستوى واحد من الوجود لا جدليّة فيه، فتقع في الجمود التاريخي و تبطل معها سلسلة الأسباب و المسبّبات. و إمّا أن تجعل الله و الوجود في الوحدة الكونية آفاقاً متدرّجة، فلا يكتفي أفق بواقعه و تفرض الجدلية نفسها في صميم الحياة. الحلولية الثانية حركة إيجابية دائرتها مفتوحة لولبياً فيها تعاقب الماضي، و الحاضر، و المستقبل، و حلولية الرّيحاني مع الحلولية الثانية نظراً إلى قدراتها على التطوّر. (انظر: وهيب كيروز، عالم جبران الفكري، ١٩٨٣، ١٦٨\٢).

٤- سبنسر(هربرت): (١٨٢٠- ١٩٠٣) (Herbert Sepencer)، فيلسوف انكليزي. يعتبر أحد أبرز القائلين بـــ «الداروينية الإجتماعية». أعظم آثاره

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]
[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

كتاب «الفلسفة التركيبية» (عام ١٨٦٠-١٨٩٦) (انظر: الموسوعة العربية الميسرة، ص ٩٦٠، و منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص ١٢٤).

٥- ابن رشد: (٥٢٠-٥٩٥هـ / ١١٢٦-١١٩٨م): عالم، و حكيم، و مشارك في الفقه و الطب و المنطق و العلوم الرياضية و الإلهية. من تصانيفه: «الكليات في الطب»،«كتاب الحيوان»،«كتاب في المنطق»، غيرها. (انظر: عمر رضا كحالة، معجم المؤلفين، ٣١٣/٨).

٦- أبو العلاء المعري: (٩٧٣-١٠٥٧ هـ): ولد في معرّة النعمان، شاعر مفكر. كان رقيق العاطفة، ثاقب العقل، لاذع الإنتقاد، دقيق الاحساس، متبرّماً بالناس و الدنيا و كثير التشاؤم. من مؤلفاته، «اللزوميات»،«رسالة الغفران» في قصة إلهية طريفة. (انظر: المنجد في الأعلام، ص ١٧).

٧- باستور (لويس): (١٨٢٢- ١٨٩٥)، عالم، و كيميائي، و بيولوجي فرنسي، قام بإسهامات كبيرة في الكيمياء و الطب و الصناعة، و قد استفادت الإنسانية كثيراً من إسهاماته]. انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٩٧/٤، و منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ص ٥٢.

٨- دانته: (١٢٦٥-١٣٢١ م)، أحد أكبر شعراء ايطاليا في القرون الوسطى، تعد ملحمته الكوميديا الإلهية من بين الأعمال الكبرى في عالم الأدب، و قد أثنى عليها النقاد. (انظر: الموسوعة العربية العالمية، ٢٣٨/١٠).

٩- ابن فارض: (عمر بن علي) (١١٨١-١٢٣٥): ولد في القاهرة. من مفكّري الإسلام و المتصوفين. له ديوان أشهر ما فيه تائيته الكبرى و مطلعها: شَرِبنَا عَلى ذِكرِ الحَبيبِ مُدَامَةً سَكِرنَا بِها مِن قَبلِ أنْ يُخْلَقَ الكَرْمُ. (انظر: المنجد في الأعلام، ص ١٢).

١٠- البهاء زهير (المهلّبي): (١١٨٥-١٢٥٨هـ)، شاعر ولد في مكّة و نشأ في مصر. كان له منزلة عند الملك الصالح الأيوبي. في شعره رقة و ظَرَف وسهولة. (أنظر: المصدر نفسه، ص ١٤٥).

١١- القدّيس أوغسطينوس: (Augustin) (٣٥٤-٤٣٠ م): أشهر أباء الكنيسة الغربية، اعتنق مذهب ماني. ثم ارتدّ بفضل أمّه مونيكا و القديس أمبروسيوس. حاول التوفيق بين العقل و الإيمان. مؤلفاته عديدة أهمّها: «الإعترافات»، «مدينة الله»، «في النعمة». (أنظر: المصدر نفسه، ص ٩٦).

١٢- أبو حيان التوحيدي: (ت ٤١٤هـ/١٠٢٣م): كاتب و فيلسوف عربي. أتُّهم بالزندقة فاضطرَّ إلى العيش مستخفياً. من أشهر آثاره: «المقابَسَات»، «الإمتاع و المؤانسة»، «مثالب الوزيرين». (منير البعلبكي، معجم أعلام المورد، ٢٠٠٣، ص ٢٧).

١٣- إمرسون(Emerson): (١٨٠٣-١٨٨٢) فيلسوف و شاعر أميركي. يُعرف مذهبه بـ«مذهب التعالي». (انظر: المنجد في الأعلام، ص ٩٥).

١٤- ثورو: (Thoreau) (١٨١٧- ١٨٦٢)، كاتب و شاعر أميركي. عرف بمقاومته الشديدة للإسترقاق و الإستعمار. ينتمي إلى فريق التّخطّي الأدبيّ، اشتهر برائعته «والدن»Walden التي تُعتَبرُ استكشافاً عبر الطبيعة للحياة و الروح. (المصدر نفسه، ١٩٨٦، ص ١٧٥).

١٥- ديكارت: (١٥٩٦-١٦٥٠) فيلسوف فرنسي، قد حدّد على غرار فرانسيس بيكون الغاية القصوى للمعرفة، بأنها تحكم الإنسان في قوى الطبيعة، و اكتشاف و اختراع الأجهزة الفنية. و لا يتضمّن عدم الإيمان هذا أنّ الوجود كلّه لا يمكن معرفته، بل هو منهج لاكتشاف

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

البداية الأصلية غير المشروطة في المعرفة التي حدّدها ديكارت بأنّها «أنا أفكّر، إذن أنا موجود» (انظر: الموسوعة الفلسفية، ١٩٧٤، ص ٢١٠).

١٦- الفلسفة العمليّة: هي جانب من الفلسفة يتناول مشكلة العمل الإنساني. و ينطوي على كل تأمل يتناول العلاقات الإجتماعية و العلاقات بين مختلف الطبقات. و الجواب عن السؤال التالي: «ماذا علي أن أفعل؟»إنّ غاية الفلسفة العملية هي أن تدلّ الناس على الشروط (الإجتماعية و الإقتصادية و السياسية و الأخلاقية) التي تتيح لهم الفوز بالسعادة. (ديدريه جوليا، قاموس الفلسفة، ١٩٩٢، ص ٣٨٥).

١٧- زينون الكنعاني الرِّواقي: (٣٣٥ - ٢٦٣ ق.م)، فيلسوف يوناني. شدّ رحاله إلى أثينا حيث درس مختلف المذاهب الفلسفية اليونانية، و كوّن مذهبه الخاص الذي عُرف بـــ«الرِّواقية»، (انظر: موسوعة أعلام المورد، ٢٠٠٣، ص ١٢١).

المصادر و المراجع

- القرآن الكريم

[١] ألكسي (كاريل)، الإنسان ذلك المجهول، تر: شفيق أسعد فريد، بيروت، مكتبة المعارف، ١٩٩٨.

[٢] أمين (عثمان)، الفلسفة الرِّواقيّة، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط٣، ١٩٧١.

[٣] البعلبكي (منير)، معجم أعلام المورد، بيروت، دار العلم للملايين، ط١، ٢٠٠٣.

[٤] جادري (عبير)، أمين الريحاني، حياته وآثاره، رسالة ماجستير،جامعة تربيت مدرس، ١٣٧٨هـ.ش.

[٥] جبر (جميل)، أمين الرِّيحاني: الرجل و الأديب، بيروت، مطبعة فاضل و جميل، لا.ت.

[٦] الحاج (لحميل)، الموسوعة الميسَّرة في الفكر الفلسفيّ و الإجتماعيّ، بيروت، مكتبة لبنان، ط١، ٢٠٠٠.

[٧] ديدريه (جوليا)، قاموس الفلسفة، تر: فرانسوا أيوب وإيلي نجم وميشال أبي فاضل، بيروت،مكتب أنطوان، ط١، ١٩٩٢.

[٨] روشنفكر (كبرى)، محاربة الحرب و المحافظة على السّلام في آثار أمين الريحاني، مجلة المدرس، مج ٥، العدد٣، خريف١٣٨٠.

[٩] الريحاني (أمين ألبرت)، فيلسوف الفريكة صاحب المدينة العظمى، بيروت، دار الجيل، ط١، ١٩٨٧.

[١٠] الرِّيحاني (أمين)، التطرّف و الإصلاح، بيروت، دار الجيل، لا.ت.

[١١] ـــــــــ، الرِّيحانيات، بيروت، المؤسسة العربيّة للدراسات و النشر، ط١، ١٩٨٢.

[١٢] ـــــــــ، القوميات، بيروت، دار الجيل، لا.ت.

[١٣] الزركلي (خير الدين)، الأعلام: قاموس تراجم لأشهر الرجال و النساء، بيروت، دار العلم للملايين، ط ٧، ١٩٨٦.

[١٤] قميّ (عبّاس)، مفاتيح الجنان، مرا:خليل رزق، بيروت، شركة دبوق العالمية، ط١، ٢٠٠٧.

[١٥] كيروز (وهيب)، عالم جبران الفكري، بيروت، شركة شاريا للطباعة و النشر، ط١، ١٩٨٣.

[١٦] لالاند (أندريه)، موسوعة لالاند الفلسفيّة، تعريب: خليل أحمد خليل، بيروت، منشورات عويدات، ط ١، ١٩٩٦.

[١٧] مجموعة من المؤلفين، الموسوعة الفلسفية، رُوزنتال (م.) ويُودين (ب.)، تر: سمير كَرَم، بيروت، دارالطليعة، ط١، ١٩٧٤.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

[١٨] ـــــــــ، موسوعة أعلام العلماء و الأدباء العرب و المسلمين، بيروت، دار الجيل، ط١، ٢٠٠٦.
[١٩] ـــــــــ، الموسوعة الفلسفية العربيّة، بيروت، معهد الإنماء العربي، ط١، ١٩٨٨.
[٢٠] محمود (زكي نجيب) ، مع الشّعراء، بيروت، دار الشروق، ط١، ١٩٧٨.
[٢١] موسى(محمّد علي)، أمين الرّيحاني، حياته وآثاره، بيروت، منشورات دار الشرق الجديد، لا.ط.، ١٩٦٠.
[٢٢] نعمتي (معصومة)، الشعر المنثور عند أمين الريحاني، رسالة ماجستير،جامعة تربيت مدرس، ١٣٨٤ ه.ش.

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]

رهیافت‌های فکری انسان کامل و نقش خویشتن‌سازی او در آرمان‌شهرِ امین ریحانی (۱۸۷۶-۱۹٤۰ م)

مریم هاشمی[۱]

تاریخ دریافت: ۱۳۸۹/۳/۹ تاریخ پذیرش: ۱۳۸۹/۱۱/۱۰

تمامی بشریّت مشتاق زیستن در جامعه‌ای آرمانی و نمونه هستند، و به طور کلّی همه ملـل و نحـل در راه دست یافتن به جامعه‌ای صالح و نوین تلاش می‌نمایند. مکاتب فکری نیـز بـه نوبـهٔ خـود راه‌هـای گوناگون و متنوعی را جهت برپایی چنین جامعه‌ای، ارائه کرده‌اند و به سبب آن روش‌ها و ضابطه‌هـای مختلفی را با امید به تحقّق یافتن رؤیای قدیم انسانیّت، مطرح نموده‌اند. از این خاستگاه، فیلسوف سعی دارد از طریق راهکارهای فکری عقیدتی که گاه ممکن است آرمان‌گرایانه وخیال‌پردازانه باشد، بشـریّت را به سعادت، در تأسیس «جامعه‌ای نمونه» برساند.

ریحانی با اندیشه «آرمانگرا» به مردم جامعهٔ خود برحسب زمانه‌ای که درآن می‌زیست، می‌نگریست تا بتواند با نگرش به واقعیت، اصلاحات چشمگیری را درتمامی جوانب اقتصادی، اجتماعی و سیاسـی اجرا نماید، از همین منظر اندیشهٔ آرمان‌گرای وی با تأثیر پذیرفتن از آرمان‌شهر افلاطـون (٤۲۸ ق.م) و فارابی (۸۷۰- ۹۵۰م) دارای مفاهیمی نوین است، چه، ریحانی شخصیتی مستقلّ از افلاطـون و فـارابی دارد.

در این پژوهش به دو سبک و روش کار اعتماد شده است. این دو روش، وصفی و تطبیقـی اسـت که از طریق آن رهیافت‌های فکری انسان کامل و نقش خویشـتن‌سـازی او در آرمـان‌شـهر را از خـلال تألیفات متناسب با موضوع تحقیق، همراه با تحلیل متـون و توضـیح نگـرش‌هـای شـامل و کامـل وی پیرامون انسان کامل در آرمان‌شهر، دنبال می‌نماییم. همچنین روش مقارنه سعی دارد تـا آنچـه ریحـانی میان قوای جسدی و عقلی و روحی انسان کامل، مورد تمییز قرار می دهد را تبیین نماید.

کلید واژگان: انسان کامل، آرمان‌شهر، معرفت پروردگار، امین ریحانی

۱. دکترای زبان وادبیات عربی، (دانشگاه اسلامی در لبنان). استادیار دانشگاه الزهرا (س)، تهران، ایران.(mhashemi27@hotmail.com)

[Downloaded from aijh.modares.ac.ir on 2024-04-20]

[DOR: 20.1001.1.23834269.1432.18.4.4.2]